الممنوع من الصرف

(دراسة تطبيقية على ربع يس)

د. ربيعة المبارك عبدالله

أستاذ مساعد النحو والصرف – قسم اللغة العربية
الكلية الجامعية بالقنفذة – جامعة أم القرى بمكة المكرمة

الممنوع من الصرف

(دراسة تطبيقية على ربع يس)

د. ربيعة المبارك عبد الله

ملخص البحث :

هذه الدراسة بعنوان (الممنوع من الصرف في ربع يس) وقد اتبعتُ فيها المنهج الاستقرائي التحليلي؛ لما فيه من استقراء وتحليل لآراء النحاة والمفسرين، وأهدف من هذه الدراسة إلى بيان العلل التي تمنع الاسم من الصرف، واقتصرت فيه على ما يمنع الصرف لعلة واحدة؛ وجاء ذلك في القرآن الكريم في قوله تعالى: {...وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}. (أخرى) من الآية مُنعت من الصرف لوجود الألف المقصورة وهي علة تقوم مقام علتين، كما وردت الألف الممدودة في قوله تعالى: {وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَاء يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ}.

وذكر أهل العلم إنَّ الأصل في منع الاسم من الصرف شبهه بالفعل وإن ذلك يتحقق بوجود علتين في الاسم: إحداهما إلى المعنى والثانية ترجع إلى اللفظ، والعلة المعنوية هي العلمية أو الوصفية، والعلل اللفظية هي: العجمية، والتركيب المزجي والتأنيث والعدل، وزيادة الألف والنون ووزن الفعل. فالعلمية تمنع من الصرف مع أي واحدة من هذه العلل الصرفية، والوصفية تمنع مع العدل، وزيادة الألف والنون ووزن الفعل، هذا ملخص قولهم.

واشتملت الدراسة على فصلين؛ أحدهما: جاء فيه التعريف بالصرف، والعلة في اللغة والاصطلاح، والآخر: جاء مبيناً وموضحاً العلل المانعة من الصرف، وهو ما عنى بالدراسة التطبيقية. كما احتوت الدراسة على خاتمة تشمل أهم النتائج.

المقدمة :

إنَّ للنحو أبواباً كثيرةً، و(الممنوع من الصرف) من الأبواب المهمة في النحو؛ وذلك لأنه يوضح بعض الكلمات التي خالفتْ أخواتها في الامتناع عن الجر والتنوين، فيكون باستطاعتنا تفسيرها بمعرفة هذا الباب، كما أنه يوجد كثير من الخلط بينه وبين المصروف، إضافة إلى صعوبة تناوله في مصادره الأولى، مما كان دافعاً لي أن أتناوله بالدراسة، ولهذه الأهمية فقد وقع اختياري عليه، واقتصرت الدراسة على الاسماء التي منعت من الصرف لعلة واحدة. وأجابت الدراسة عن الأسئلة التالية: ما معنى الصرف في اللغة والاصطلاح؟. وبالتقصي والاستقراء اتضح أن معنى الصرف هو التنوين الذي يدل على معنى يكون به الاسم أمكن.

كما أجابت عن معنى العلل عند أهل اللغة، وأهل النحو، ونجدهم قد عرَّفوا العلة بأنها الخروج عن الأصل، وأنها السبب، كما نقول: هذا علة لهذا، أي سبب له، وما هي أسباب منع الصرف لعلة واحدة؟، وجاءت الإجابة بأن هنالك صيغ تعرف بصيغ منتهي الجموع، (مفاعل، ومفاعيل) واستخرجتُ ما جاء على هذه الصيغ في ربع يس وما قاله النحاة عنها والمفسرون وذلك نحو قوله تعالى: {وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ}. فالشاهد في (منازل) التي جاءت على وزن مفاعل، وجاءت صيغة مفاعيل في قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ...} . والشاهد في قوله ينابيع .

وأجابت كذلك، عن ماهية التأنيث اللازم؟ واتضح أنه الاسم المؤنث الذي ينتهي بألف التأنيث الممدودة مثل (شركاء) التي وردت في قوله تعالى: {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء...} .

والألف المقصورة التي وردت في قول الله تعالى: {.. وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ} . والشاهد في (شركاء) و (أنثى).

ولما كان الهدف من الدراسة هو خدمة كتاب الله سبحانه وتعالى، وتوضيح آراء النحاة والمفسرين وتسهيل فهمها؛ لذا حشدتُ لها من الآيات في حدود الدراسة وهو ربع يس .

أولا: التعريف بالصرف والعلة:

أ/ الصرف عند اللغويين:للصرف معانٍ متعددة ومتنوعة منها:

١) التكرار والتبيين والتوضيح لقوله تعالى: { انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ}. أي نكررها بأساليب مختلفةونبينها ونوضحها مرة ونفسرها .

٢) دفع العذاب ونحوه لقوله تعالى: { فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفاً وَلَا نَصْراً ...}. دفعاً للعذاب عن أنفسكم.

٣) الصرف في الدراهم:قال ابن منظور: (الصرف فضل الدرهم على الدرهم والدينار على الدينار، والصرف بيع الذهب والفضة)

وقال الفيروز آبادي في هذا المعنى: (الصرف في الدراهم وهو فَضْلُ بعضه على بعض في القيمة والصريف الفضة الخالصة) .

١) الصرف؛ التطوع والعدل لقوله تعالى:{... وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ ...}.

٢) الصرف الرجوع عن المكان ورد الشيء عن وجهه، وجاء في قول الله تعالى: {...ثُمَّ انصَرَفُواْ ..} أي رجعوا عن المكان الذي استمعوا فيه).

٣) الصرف؛ الحيلة . قال يونس: (الصرف الحيلة ومنه فلان يتصرف أي محتال).

٤) صرف الأذى . قال استصرفتُ الله المكاره، سألته صرفها، ومنه قول المولى عزَّ وجلَّ: { وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ... }

٥) الصرف: الخالص من كل شيء قال ابن منظور: (الصرف: الخالص من كل شيء). وقال صاحب القاموس: (الصريف: الفضة الخالصة) .

ب/ الصرف عند النحويين:

قال الخليل:(صرف الكلمة إجراؤها بالتنوين)، وقال في شرح جمل الزجَّاجي (الاسم الذي ينصرف هو الذي ينون ويخفض)، وقال الأزهري: (اختلف في اشتقاقه هل هو من الصِرف؟ وهو الخالص من اللبن، والمنصرف، خالص من شِبه الفعل والحرف؟ أو من الصريف وهو الصوت، لأن الصرف وهو التنوين صوتٌ في الآخر) ، وقال ابن مالك في ألفيته:

الصَّرفُ تَنْوِينٌ أَتَى مُبَيِّنَاً مَعْنًى بِهِ يَكُونُ الاسْمُ أَمْكَنَا

ومما سبق يتضح أن الصرف هو التنوين عند الخليل وغيره .

ج / معنى العلة في اللغة:

قال ابن منظور: (وعلَّ بنفسه، يتعدى ولا يتعدى، وعلَّ الرجل يَعَلُّ من المرض)، والعلة المرض؛ عَلَّ يَعَلُّ واعتلَّ أي مرِضَ فهو عليل، واعتل عليه بعلةٍ واعتله إذا ما اعتاقه عن أمر . والعلة: الحدث يُشغل صاحبه عن حاجته، كأن تلك العلة صارت شغلاً ثانياً منعه عن شغله الأول، وهذا علة لهذا، أي سبب.

وقال الخليل: إن العلة حدث يُشغل صاحبه عن وجهه، والعليل المريض.

وقال ابن دريد: (علل): العلة من المرض، والعلة من الاعتلال وجمعها العلل – والعلُّ: الضئيل الجسم و العَلَلُ: الشُّرب الثاني، وثوب يعلول إذا عُلَّ بالصبغ مرةً أُخرى، وتعلِّة من العلل على تَفْعِلة .

د/ العلة عند النحويين:

للنحويين آراء وأقوال في العلل على اختلاف الأحكام التي وردت فيها ومن أولئك؛ سيبويه الذي قال: لسنا ندعي أنَّ علل أهل العربية في سَمْت العلل الكلامية البتة، بل ندعي أنها أقرب إليها من العلل الفقهية، وليس شيء مما يضطرون إليه إلا

وهم يحاولون به وجهاً. وقال ابن جني: (ولست تجد شيئاً مما علل به القوم وجوه الإعراب وإلا والنفس تقبله والحس منطوٍ على الاعتراف به، فجميع علل النحويين إذاً مواطئة للطباع) .

ثانياً: العلل المانعة للصرف:

أشرتُ فيما تقدم لمعنى العلة في اللغة وفي اصطلاح النحاة، ونتعرف الآن العلل المانعة للصرف والتي قالوا عنها: إنما يمنع الاسم من الصرف إذا وجِدَ فيه علتان من علل تسع، أو واحدة منها تقوم مقام علتين يجمعها قول ابن مالك :

عَدْلٌ وَوَصْفٌ وَتَأْنِيثٌ، وَمَعْرِفَة وَعُجْمَةٌ، ثُمَّ جَمْعٌ، ثُمَّ تَرْكِيبٌ

وَالْنُّونُ زَائِدَةٌ مَنْ قَبْلِهَا أَلْفٌ وَوزْنُ فِعْلٍ، وَهَذَا القَولُ تَقْرِيبُ

فلنأخذ لكل علة مثالاً ونستدل عليه بما جاء في التنزيل من الآيات موضوع البحث، ولنبدأ بها مرتبة كما جاءت في قول ابن مالك :

العدل مثلاً: كعدل اسم عن اسم نحو عدل عُمر عن عامِر وآخر عدل عن صفة، لم أقف عليه في ربع يس.

الوصف والتأنيث: من أمثلة ما جاء للصفة نحو أحمر حمراء و أبيض بيضاء، وورد ذلك في قوله تعالى: {بَيْضَاء لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ}، و قوله تعالى: {أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء...}، وقوله تعالى: {مِن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئاً وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}، وفي قوله تعالى: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَولِيَاء اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ}، وفي هذه السورة أيضاً جاء قوله تعالى: {أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي المَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}، وقوله تعالى: {وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَاء يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن سَبِيلٍ }، وفي قوله تعالى: {وَمَن

لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَولِيَاء أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}، وفي قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ ...}، وقول المولى عزَّ و جلَّ: {أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاء قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلَا يَعْقِلُونَ}، وقوله تعالى: {وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاء فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم ...}، وقوله تعالى: {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}، وفي قوله تعالى: {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ }. وقوله تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ }، كما أنهم أجمعوا على التأنيث بالهاء وإن كان لمذكر نحو طلحة وفاطمة

والتأنيث بدون علامة نحو زينب وسعاد وكذلك الممدودة نحو صحراء، وهيفاء وغيره كذلك التأنيث بألفي التأنيث المقصورة نحو سلمى وسلوى وورد ذلك في قوله تعالى: {أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفِي ..}، وقوله تعالى: {فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفِي وَحُسْنَ مَآبٍ}، وقوله تعالى: {أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفِي إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ...}، وقوله تعالى: {هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ} وقوله تعالى: {... وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ}.وقوله تعالى: {تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى }، وقوله تعالى: {إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى...}، وقول الله سبحانه وتعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ}، وفي قوله

تعالى: {وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً}، وفي قوله تعالى: {وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى }، وفي موقع آخر من السورة قال تعالى: {أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}، وقوله عزَّ وجلَّ: {... فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى }، وفي قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ}، وقوله تعالى: {...وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}، وقوله تعالى:{وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَاء يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ} . في قوله تعالى: {..عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ..}، وقوله تعالى: {مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ}. وقول المولى عزَّ وجلَّ: {فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى}، وقوله تعالى: {بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهِي وَأَمَرُّ}، وقوله تعالى: {وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ}، وقوله تعالى {وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَاناً عَرَبِيّاً لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ}، وقوله تعالى: {قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ} .

وذكر الزجاج: أن كل مؤنث لا يُصرف لأن التأنيث فرع عن التذكير، والتذكير هو الأصل. فألف التأنيث والجمع الذي لا نظير له في الآحاد كل منهما يستأثر بالمنع، أما العلل الأخرى فلابد من مجامعة لكل منهن للصفة أو العلمية .

١) أما التركيب فلم يرد شيء من ذلك في الأجزاء موضوع البحث .

٢) والجمع المتناهي فله صيغتان (مفاعل) و(مفاعيل) وجاء في القرآن في عدة مواضع منها قوله تعالى: {وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ...}

وقوله تعالى: {وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَة... } وقوله تعالى: {...وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ }، وقوله تعالى: {وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ }، وقوله تعالى: {وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ }، وقوله تعالى: {أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ} وقوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ... }، وفي قوله تعالى: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ}، وقوله تعالى: {لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ }. وقوله تعالى: {وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ }، وقول المولى عزَّ وجلَّ: {...وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ }، وكما في قوله: {وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِّلشَّيَاطِينِ ..}، وقوله تعالى: {إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} : {الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى}وقوله تعالى:(الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ و الْفَوَاحِشَ...)، وقوله تعالى: {إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ..}، وقوله تعالى: {وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِّن فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ } .

قال سبحانه وتعالى:{هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ}، وقال تعالى: {وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتْ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ}، وقوله

تعالى: {إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ }، وفي قوله تعالى: {إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ}، وقوله تعالى: {إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ }، وقوله تعالى: {وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً * وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا ... الآية}، وقوله تعالى:{بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ } وقوله تعالى: {وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً } .

ووردت أسماء على تلك الجموع اختلف العلماء في منعها الصرف وصرفها فمنهم من منعها الصرف ومنهم من صرفها وذلك مثل (سلاسل) (قوارير) . فوردت (سلاسل) في قوله تعالى: {إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالاً وَسَعِيراً} وقوله تعالى: (سلاسل و أغلالا وسعيرا)، الأجود في العربية ألا يصرف (سلاسل) ولكن لما جُعلت رأس آية صُرفت ليكون آخر الآي على لفظ واحد.

قال أبو حيان:(سلاسل) جمع تكسير موازن لمفاعل و لهذا منع من الصرف، ووزنه فعالل، ومفرده سلسلة وهو مفعول به لـ(اعتدنا) ومعناه(هيأنا) والقراءة بمنع صرف (سلاسل) في الآية قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وحفص وابن زكوان وقرأ بها طلحة أيضاً وعمرو بن عبيد .

وقال العكبري: (سلاسلا) القراءة بترك التنوين ونوَّنه قوم أخرجوه على الأصل وقرب ذلك عندهم شيئان:

أحدهما:اتباعه ما بعده، والثاني: وجدوا من الشعر مثل ذلك منوناً في الفواصل. وإن هذا الجمع قد جُمع كقول الراجز:

قد جرت الطير أيامنينا

أما (قوارير) فقد وردت في قوله تعالى: {وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا * قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً }.

قالوا:(قرئت غير مصروفة، وهذا الاختيار عند النحويين البصريين لأن كل جمع يأتي بعد ألف تكسيره حرفان لا ينصرف، ومن قرأ (قواريرا) فصرف الأول فلأنه رأس آية، وترك صرف الثاني لأنه ليس بآخر آية .

ومن صرف الثاني(تبع) اللفظ اللفظ، لأن العرب ربما قلبت إعراب الشيء ليتبع اللفظ، فيقولون: هذا جُحر ضبٍ خربٍ، وإنما الخرب من نعت الجُحر، فكيف بما يترك صرفه) .

قال الصاوي: كُرر لفظ قوارير توطئة للنعت بقوله (من فضة)، وأعلم أن القُراء السبعة في هاتين الكلمتين على خمس مراتب:

الأولى: تنوينهما والوقف عليهما بالألف.

الثانية:عدم تنوينهما وعدم الوقف عليهما بالألف.

الثالثة:عدم تنوينهما والوقف عليهما بالألف.

الرابعة: تنوين الأول والوقف عليه بالألف، والثاني بدون تنوين ولا وقف عليه بالألف .

الخامسة: عدم تنوينهما معاً والوقف على الأول بالألف وعلى الثاني بدونهما والتنوين للتناسب نظير ما تقدم في (سلاسل) وعدم التنوين لمجيئه على صيغة منتهي الجموع.

كما ورد على تلك الصيغ (مفاعل) (مفاعيل) ما جاء في قوله تعالى:{إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً *حَدَائِقَ وَأَعْنَاباً *وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً }. (حدائق) جاءت على مفاعل ولذلك منعت الصرف وقال العكبري: حدائق بدل من (مفازا) .

و(كواعب) جمع موازن لمفاعل ولهذه العلة منع من الصرف، ومفرده كاعب وهي الفتاة التي برز نهدها، وهو منصوب بالعطف على حدائق في الآية السابقة

(حدائق وأعنابا)، وهو بدل بعض من كل من (مفازا) في الآية التي قبلها وهي {إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً}.

ووردت حدائق في موضع غير هذا في قوله تعالى: {وَحَدَائِقَ غُلْباً} فحدائق هنا على فعائل الموازن لمفاعل ولذلك منعت الصرف وهي مفعول به منصوب .

وإنما منعت هذه الأسماء الصرف في المعرفة والنكرة لأن هذا الجمع على مثال لا يكون عليه الواحد والواحد هو الأصل فلما باينه هذه المباينة، وتباعد هذا التباعد في النكرة، امتنع من الصرف فيها، وإذا امتنع من الصرف فيها فهو من الصرف في المعرفة أبعد .

وعلى هذا الجمع ورد في كتاب الله كذلك قوله تعالى: {وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ}. (أبابيل): جمع لا واحد له من لفظه . وقيل واحدها إبْوَل كعجوَّل. وقيل واحده إبيل. وقيل: إبال.

وقال أبو حيان: (أبابيل) قال الجوهري: قال الأخفش يقال: جاءت إبلك أبابيل، أي فرق، وطيرٌ أبابيل قال: وهذا يجيء في معنى التكثير، وهو من الجمع الذي لا واحد له .

قال رؤبة العجاج في هذا الجمع:

وَلَعِبَتْ طَيْرٌ بِهِمْ أَبَابِيل فَصيرُوا مِثْلَ كَعَصْفٍ مَأكُولُ

وورد كذلك وزن مفاعل في قوله تعالى:{وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ*وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ}وردت كلمتي(نمارق) و (زرابي).

(نمارق) جمع على فعالل الموازن (لمفاعل)، ولما جاء على هذا الوزن منع الصرف. وفعالل يطرد جمعاً للرباعي المجرد سواء أكان بالتاء أم مجرداً عنها نحو (زخرف) و (زخارف)، وإنما اختارت العرب جمع الرباعي على فعالل لثقله ولخفة

فعالل، إذ ليس فيه إلا زيادة واحدة هي الألف أخف حروف اللين كما أنه مفتوح الأول والفتحة خفيفة.

و(زرابي) في الآية السابقة جمع على (فعالي) موازن لمفاعيل مرفوع بالعطف على (سُرر) في الآية قبلها، ومُنع الصرف لمجيئه على صيغة مفاعيل.

أما(سراويل) فاسم أعجمي أشبه في كلام العرب ما لا ينصرف و إنما هي بالفارسية:(شروال) فبنتها العرب على ما لا ينصرف من كلامها، فإذا صغرتها صرفتها إلا أن تكون اسم رجل .

فأما (شراحيل) فمن الجمع؛ والواحد (شرحال) فهو غير مصروف.

وما كانت فيه الهاء ينصرف في المعرفة من أجل التأنيث فأما سراري وبخاتي وكراسي فغير مصروفة في معرفة ولا نكرة لأن الياء ليست للنسب، وإنما هي الياء التي كانت في الواحد في بخيته، وكرسي. وإذا نسب إليها حُذِفت هذه الياء المشددة وحلت محلها ياء النسب.

الخاتمة :

أثبت الدراسة أن موضوع (الممنوع من الصرف) من الموضوعات الكبيرة التي تحتاج لمزيد من البحث بين أضابير الكتب؛ وذلك لسعة الموضوع تشعبه واختلاف النحاة فيه .

ومن أهم النتائج:

١) العلل المانعة للصرف هي من وضع النحاة في عصور متقدمة، ويلاحظ أنهم يميلون فيها إلى الحس؛ ذلك لأنهم يحتجون بثقل الحال أو خفتها على النفس والدليل على ذلك قول سيبويه: (سألت الخليل عن رجل يسمى(مرَانا) فقال اصرفه، لن المران إنما سمي للينه، فهو فعال، كما يسمى الحماض لحموضته، وإنما

المرانة اللين، وسألته: عن رجل يسمى فينانا فقال: مصروف، لأنه فيعال، وإنما يريد أن يقول بشعره فنون كأفنان الشجر، وسألته: عن رمان فقال لا أصرفه، وأحمله على الأكثر إذا لم يكن له معنى يعرف)١ . من ذلك يتضح أنهم كانوا يميلون في وضع العلل إلى الحس .

٢) الاسم الذي لا ينصرف، هو الذي شابه الفعل في وجه من الوجوه، فالأفعال ثقيلة، فلذلك لا يدخلها خفض ولا تنوين . ويبدو أن مسألة الثقل هذه مسألة نظرية وموانع الصرف أمور معنوية ليس للخفة والثقل أي علاقة بها .

٣) اختار العرب للرباعي الذي على وزن مفاعل صيغة (فعالل) نحو (زخرف) (زخارف) لثقله وخفة (فعالل) إذ ليس فيه إلا زيادة واحدة هي الألف، أخف حروف اللين، ويبدو أن العلماء اجتهدوا في اختيار هذه الصيغة لخفتها . واختلفوا في عدة أمور:

(فإن سميت المؤنث بعمرو أو زيد لم تجز الصرف) هذا قول البصريين إلا عيسى بن عمر، وحجتهم أن المؤنث أشد ملاءمة للمؤنث، وكان عيسى يصرف امرأة اسمها عمرو، لأنه على أخف الأبنية، ويظهر أن العلماء اجتهدوا في الوصول إلى هذه الآراء ولكنهم لم يحسموا الخلاف بينهم .

ما جاء على صيغة فعلان فمنهم من رأى أن النون مبدلة من ألف التأنيث، وهذا قول سيبويه، ومنهم من رأى أنها منعت من الصرف لمشابهتها حمراء وذلك لأن النون جاءت بعد ألف كألف حمراء.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم
٢. أبو حيان، محمد بن يوسف – تفسير البحر المحيط - دار الكتاب الإسلامي القاهرة – الطبعة الثانية .
٣. ابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصائص .تحقيق: محمد علي النجار – الطبعة الثالثة- الهيئة المصرية للكتب ١٤٤٦هـ - ١٩٨٦م .
٤. ابن دريد، أبوبكر محمد بن الحسين- جمهرة اللغة – حققه وقدم له: د. رمزي منير البعلبكي – دار العلم للملايين – الطبعة الأولى .
٥. ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله الأنصاري المصري- ت ٧٦١هـ (١) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. (٢) شرح جمل الزجاجي - المكتبة العصرية - صيدا بيروت . (٣) شرح شذور الذهب – مطبعة السعادة بمصر ١٩٥١م .
٦. ابن يعيش، الشيخ موفق الدين ت ٦٤٣هـ - شرح المفصل – عالم الكتب - بيروت.
٧. ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل – مختصر تفسير ابن كثير – اختصار و تحقيق: محمد علي الصابوني- دار القرآن الكريم – بيروت – الطبعة الثامنة ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م .
٨. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن الإمام جلال الدين مكرم أبو العز بن الشيخ نجيب الدين ت -٧١١ هـ - لسان العرب.
٩. ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله ت ٧٦٩هـ - شرح ابن عقيل على ألفية ابن عقيل على ألفية ابن مالك – تأليف محمد محيي الدين – دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان. الأزهري، الشيخ خالد.
١٠. شرح التصريح على التوضيح – دراسة وتحقيق: علي محسن- المطبعة الأزهرية ١٣٢٥هـ.
١١. الأشموني، نور الدين أبو الحسن علي بن محمد – شرح الأشموني على ألفية ابن مالك – تحقيق: عبد الحميد محمد عبد الحميد .

١٢. الزجاج أبو اسحق إبراهيم بن السري بن سهل ت ٣١١هـ:
- ما ينصرف وما لا ينصرف– تحقيق: هدى محمود قراعة - مكتبة الخانجي – القاهرة.
- معاني القرآن وإعرابه – شرح وتحقيق: د. عبد الجلي عبده شلبي - دار الحديث - القاهرة - الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .
١٣. المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، ت ٢٨٥هـ- المقتضب – تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة- مطابع الأهرام – قليوب مصر - ١٤١٥ هـ -١٩٩٤م
١٤. سيبويه، أبوعثمان بن قنبر – الكتاب – تحقيق: عبد السلام هارون – الهيئة العامة للكتاب – ١٩٧٧م .
١٥. السيوطي، الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت ٩١١هـ - همع الهوامع – تحقيق: أحمد شمس الدين – منشورات محمد علي بيضون – دار الكتب العلمية- بيروت – لبنان – الطبعة الأولى .
١٦. السيوطي والمحلي، الإمام جلال الدين محمد بن أحمد – تفسير الجلالين – طبعة دار القرآن – القاهرة .
١٧. العكبري، أبو البقاء عبد الله الضرير بن الحسين – اللباب في علل البناء والإعراب.
١٨. الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب – القاموس المحيط .
١٩. الصبان، محمد علي – حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك – دار الفكر للطباعة والنشر .
٢٠. الصاوي، الشيخ أحمد المالكي – الصاوي على الجلالين – مطبعة دار إحياء الكتب العربية .
٢١. الخليل بن أحمد الفراهيدي - كتاب العين – معجم عربي- عربي- تحقيق: د.مهدي المخزومي – د.إبراهيم السامرائي .
٢٢. مخلوف، محمد حسنين- تفسير وبيان كلمات القرآن الكريم (المصحف المفسر)- دار الفجر الإسلامي – بيروت – الطبعة الرابعة ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.
٢٣. الصابوني، عبد الوهاب – اللباب في النحو – دار الشرق العربي- بيروت لبنان .